إشراقات جديدة

الولد الوردة

شعر

عبدة الزرّاع

دراسة :

أمجد ريان



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٤

إشراقات جديدة

تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

عبد العال الحمامصى

مدير التحرير

حزين عمر

سكرتير التحرير

أحمد توفيق

المخرج الفنى

صبرى عبد الواحد

تصميم الغلاف

الفنان محمود الهندى

• الإهداء •

• إلى عمى عبده الزرّاع

عرفانًا .. ومحبة

• إلى أبناء قريتى البسطاء برنبال

• وإلى فلذات كبدى:

آية الله ، وعمر، وآلاء

• كتبت قصائد هذا الديوان فى الفترة

من عام ١٩٨٨ حتى عام ٢٠٠١م .

• الولد الوردة •

• إلى كل طفل فلسطينى قذف يهودياً بحجر •

الولد اللى بيتلخبط فى حروف اسمى الأولى

وبيتهجى ملامحه

وبتشعلق فى رقبتى

زى العُقد فى رقبة أمه

وبيفرّك الطباشير دقيق أبيض

فيعفَّر وش السبورة السودة

تتبعتر ذرّاته ويّا الهوا

زعابيب وغبار

شايل شنطة مدرسته مليانه حجارة

ونشنجى من يومه فتوة

واقف على ناصية روحى

مستنينى أنام
وأخش الحلم وأدوَّر ع الكوابيس
يفلت من نن عنيّا
ويهرب يمّ الأحداث
بيعاند جندى معلَّق
خوذة
ونجمة بست سنان
بيشد النبلة
ويضرب عينه بحصوة فتعمى عنيه
فيموت م الضحك
ويجرى يخُشّ فى حُضنى ينام
ألاقيه الصبح فرحان
مرسوم على وشّه نهار
أفهم على طول.. وأقول الله
وما بينى وبين نفسى
كنت أتمنى أكون ويّاه.

●

الولد أبو دم خفيف
وشيطان من يومه
وقرد بيتنطط تنطيط
شايل علمه الأخضر×أبيض×أحمر
وف ايده التانية حجر
حالف ليقدم روحه هدية
لفلسطين
بيشاغب أى يهودى يقابله
ويضرب فيه
حالف ليعيد القدس
لحضن الوطن العربى
ويعيد للأقصى الروح والنور
علشان الوجع العربى يطيب

الولد الوردة
الروح والننى
السابق سِنّه

طالع دوغرى ما يعرف ميل
ابنى حبيبى وضى العين
خايف لا تخونه رصاصة كلب يهودى
وتسكن قلبه الأخضر
زى ما سكنت قلب «الدُرَّة»
وهو فى حضن أبوه
الولد اللى بيتلخبط
فى حروف اسمى الأولى
وبيتهجى ملامحه
يفلت من نن عنيّا ويدخل
قلب الأحداث.

●

• ادينى أمارة •

بتخُش الفرحة فى قلبى
وبتعلن عن حلم جديد
مولود مع شجر الصفصاف المايل
على شط الروح
فتبوح الأحلام بالسر
لِوشّ الشمس الهربانة
من ضِلّ تاريخ الأحزان
ترتعش الإيد...
وهى بتحضُن جسم حبيبتى
المفرود عناقيد
من زهر الرمان والخوخ

●

إدّينى أمارة..
وأنا أخُشّ لقلبك بالفرحة
عصفور
بيحب الزقزقة والطير
ويحب يغيَّر لون الورد اللى هايدبل
ع الأغصان
ويحب يعيش فى العِشّ اللى بناه
من كُتْر المشاوير

●

إدينى أمارة...
وأنا أفرد جناحاتى ع الكون
وأجيبلك من ريش الطواويس
ومن النعام
وأجيبلك أبريق
ورخام
وأجيبلك من عين السما
نجماية
إدينى أمارة..
وأنا أديلك قلبى
هدية.

●

• موسيقى العمر المخطوف •

جنب النيل..

كانت قاعدة حورية

بتغزل آخر خيط من حلم قديم

والشمس هناك على مرمى الشوف

مكسوفة فى توبها النارى

وبتهرب ويّا الليل بشويش..

ونوارس روح البنت الشفافة

بتيجى تملّس على وش المية

تلقط سمكات..

وتهاجر فى دواير رحلة صيف

حران

وسفاين فرحانة

بترقص بالضيّ على المزيكا

زى النيل الفرحان

ما بيبعت بنسيمُه الطازة يهفهف

فى ضفاير محلولة

فتطير..

وتحاصر أحلى عيون

يا خضار البرسيم يا ربيعى

متّخده البنت وسرحانة - لحظة ما قعدت -

وكأن غزالة برّى بتجرى على الوديان

تعزف ألحان

وموسيقى العمر المخطوف خِلسة

بيفر من بين صبعينى

فى لمح البرق

وأتارى النيل متونِّس بيها

سهران جنبيها

غيران من طابع الحسن فى خديها

الله يا زمان.. الله
الوش ملاك..
مخروط من قبضة نور
وعيونها السحر واخدها
لآخر ما يكون
والكحل يزيد فى جنونى جنون
وشفايف كيف الورد المقطوف من لحظة
وطازة
وجمالها الأخاذ بيشد القلب
ويرحل لبعيد .
يا حبيبتى..
على فين وخدانى
وسابيه الشوق متدارى
والحزن الجوانى فى عيونك
بيطُل ويتحاور ويّايَا
وأنا صاحبى الوحدانى تركنى
وماعدش بيبعت لى المراسيل

والعمر المحفور جوانا
بيفلت ويغيب
وبتبهت كل ملامحه
ليه طعم سكاتك..
بيفكرنى بزنازين الصمت العريانة
فى ليل طوبة البردان
م الخوف
بيكشّ الأسفلت والمسافات بتزيد
صارعى الأوقات الصعبة
برأى جرىء
ما يهمش كان..
ولا حتى الأحزان المربوطة بطرف
لسانك
نفضى أحزانك
وارمينى بضحكة بريئة
يمكن أقدر أرجع بزمانك
يمكن أقدر

أرسملك أحلى طريق

يمكن..

يـ

م

ك

ن.

●

• كلنـــا أحبابـــك •

• إلى روح الشاعر: إبراهيم غراب •

وفتحت الباب على وسعه

ولا يوم رديتهُ فى وش قصيدة

بتحبى فـ قلب الشاعر

كان قلبك طيّب

زى هلال رمضان

فردت السكة مواويل وأغانى

وقصايد من طين الأرض

غنيت «لبهية وياسين»

«ولأدهم»

ورسمت على زند دراعك

سيف عنتر

دخلت ف قلب الحضرة وذكرت
وذكرنا معاك
وبقينا مريدينك
فينك..
ما انت اللى فتحت قدمنا الباب
ودخلنا وراك
كتبنا قصايد على نبض ايديك
فينك.. يا عم إبراهيم

●

كان وشك يتهلل بميلاد الشاعر
وتقول الله:
دايمًا يا بلدنا ولادة
حبلانة بقصايد وبدم جديد
فينك..
فينك.. يا عم براهيم
فين أيامك/ لياليك
وحديتك/ وغُناك

والبسمة فوق ضى جبينك
صوتك بيرن فى ودانّا
وكأنك ويّانا
حافظين كل كلامك
هانحقق أحلامك
يا عم براهيم يا غراب
مافيناش أغراب
كلنا أولادك
كلنا أحبابك.

●

• أغنية نـار •

مرشوش بالدم

يا وش الطير الطاير نن الغيط

يا حويط بملامح صقر

محاور صيده

طراطيف الشجر النايم

عبّ الريح

بيغازل رمش القمر النازف

خوف

وبيحضُن قلب حبيبتى النابض

رعشة صيف

مجاديف الطيف الهايم ليل

بيشعوط كل مداخل روحى..
ويبدّل تخاريف الزمن المنسى
دليل إثبات
هايبات عصفور الجنة.. يغنى
أغنية نار
ويردد أشعار أنهار تجرى
وتفرفط ماس
خربشنى بسن الألم الداكن
أتنطور منه
وألمه بطرف الصبح الهالل نور
ويدور فى طبق بنور
شخللنى يا سيدى العابد
بين صوبعينك
خرجنى من قمقم خوفى
ديناميت الخندق بين كفينك
فينك..

فينك..

فينك..

●

خلينى رهينة تواشيح الفجر

الجاى

علشان الروح لو شفت

هاتلف الكون

وتمزَّع كل خرايط الزيف

بالسيف

ويتوه اللون

يبهت لون الوسط الغامق

أبيض رايق

ويكون مجنون

لو عَرَّى القلب فى لحظة

وباح

تتفجر براكين منسية

فى حضن الأرض

دى غارات الحرب

بتكسر ضى الشمس النافد

سيف

وبتولد أمطار..

ورعد..

وسحابة..

وبرق..

وعتمة..

وخوف.

●

لو شفت فى عينى الرؤية

إقرانى كتاب مفتوح

اوهبنى خريطة لنهر النيل

للخلق التايه ع الشطين

يستنجد بيه وبيك

دنا واقف على حد حدود

الواحد بينى وبينك

فينك..

فينك..

فينك.

●

• مغنـــواتی •

مغنواتى أنا
أرغولى انتنى
لمّا سمعت الدندنة
كان الهنا واقف
على سدر المكان
مساحات أمان
متحزمة نجوم السما بالورد
رقصت جماعة وفرد
قال القمر: موال
من فرحتك يا مكان
اتفرفط الرمان

●

مغنواتى أنا ..
ضهرى انحنى
لما الضنى ينده لى
صوتى القديم مبحوح
وأمى وراه بتنوح
وتقول: يا ولدى
يا طالع العِلّوة
هات لى معاك غِنوة
تشفى تداوى الجروح
«دبوح يا دبوح
قلب العرب مجروح»

•

مغنواتى أنا
غنيت زمان للتمرحنة
ووَرد
غنيت للمجتمع والفرد
غنيت لزيف الهتافات
واللى انضرب ولا مات

غنيت لعشق البنات

غنيت لطفل الحِداد

غنيت لتوب اتحرق

من جمر نار حدَّاد

غنيت لضلمة الزنازين

غنيت ولا كليت

لون السواد فارد ضلوعه

ع الجبين

والأمل مكسور جناحه

لمّا كان المستحيل.

●

مغنواتى أنا

صوتى اتخرس

لمّا الحرس شدوا الزناد

شديت لجام الخوف

وركبت فرسة عنترة

أيوه يا ناس

دالخوف دا موت

والأخطبوط يعشق سواد الليل
وأبويا كان فارس
وبأسه شديد
وأنا مادنة فوق كل الجوامع
وأنا نسمة بتداعب وليد
خليك عنيد
عمرى ما أميل زى الهوى ما يميل
عمرى ما أخاف م اللى التوى
واللى نوى
يعشق رحيل
واللى نوى
يعشق رحيل.

●

• قصايد قصيـرة •

● (١) أحلام:

ما تفتحيش..

لدى الأحلام

طاقات م النور

الدور خلاص

سكِّتْ بيبانها

وقفِّلِتْ كل الضلف

●

● (٢) لعنة:

ما كُنْتش الدرويش

فى محرابكِ

فامتلعنيش بابكِ

لو

ماتفتحش..

بضحكتى.

●

● (٣) أرق :

حُبك بيتحدى الأرق
وأنا من زمان بتحرق
وأنزل فتافيت من
و
ر
ق

●

• (٤) صنم:

ماتصُرّنيش..

فى منديل المحبة

دأنا قلبى ممكن يستخبى

وأطلع بدونه.. م

ن

ص

•

● (٥) فارس الأحلام:

ما قولتلكِ..
مشوارى لسه ما ابتداش
فبلاش تخوضى التجربة
حَبة رياح
هايزقوا باب الأجوبة
وينطلق صوتك رصاص
فارس الأحلام.. ما جاش

●

● (٦) إحــراج:

يا كعبِك الداير
وجسمك الرجراج
ونهدك الفاير
وعيونك الإحراج

●

● (٧) ابتدا المشوار:

بتخشينى حرير

فى دواير تكوينى المشروخة

وجع

فأحسك ريق مبلول

شربات م الدهشة

فأدوب فى الرعشة المشتاقة

لضمِّك

وأنام..

على سدر الأيام مبسوط

والصوت كرباج يلسعنى

يوجعنى المغنى

فأغنى

ابتدا..

«ابتدا المشوار»..

●

• (٨) هروب:

باهرب
من جلد الناس النايمة
على الأسفلت
واتكحَّل بنعاسهم
وصفير القطر العطلان
فى محطات الروح
بينازع ويشخَّر
ويّا أدان الصبح
المستنظر

بتبان القضبان المغسولة
ممدودة على سدرى
فتهيج الرغبة المكبوتة
جوايا
فأهرب..
من جثث الناس
المدفونة
بعرض النَفَس الخارج
من فمى.

●

• وِردكْ عتيق •

• إلى الصديق الشاعر: رأفت رشوان •

وليه يا صاحبى

تسحب الحلم القديم وتسافر

شايل همومك

وبتردد قصايدك

بتشد روحك من بين جدار

البيت

شجر لبلاب

وتكُبّ خوفك ع الصغار

حبر القلم

ورِّدَكْ عنيد الملامح

والرؤى

عاكف فى محراب السنين
بتدندن اللحظات
من وحىٍ بوحك
وتسوِّد الصفحات
من أمهات القول
قناديل بتجرى فى الضلام
الحالِكْ
كفك مش بيتهجى الطلوع
ولا كنش نجمك مختفى
دالغيب خفى
وبيصطفى م الناس
صديق
(إسلام) بيتشعبط فى غُناك الحى
مرجيحة قلق
فابتستخبَّى بالورق منه
وبتحدفُه بره الدواير
حلم ناير ضىّ أمه

فبيترسم برواز
وانت اللى خارج
من نزيف الصدق
منزوع الجناح
القلب باح
والحب راح
فبلاش تعد فى الجراح
لا النيل يغيظك
لما يترجى السمك ع الانتظار
ولا موجة طاغية ع الشطوط
بتعاكس الأفراح
دا العيد ده مش عيدك
لكن قصيدك
حلال.

●

• زى أنغـام الكمـان •

• إلى آية بنتى .. وردة الروح •

آية بنتى..

بتشخبط الأحلام فى كراسة لقايا

وبترمى وشى بوردة حمره

بتفتح الدراعات

وتضمنى

لحظة ما أخش

وهى نايمة ع السرير

ترفع إيديها للسما

وتقول: باااابا

أضحك قوى

من جوه قلبى

وهى تضحك من غير سنان

زى أنغام الكمان.

●

آية بنتى..

بتحبنى

وأنا كمان بأحبها

وبضمها لسدرى قوى

أرفعها لفوق

عصفور يزقزق فى الهوا

ونغنى سوا

أنا وماميتها

لما تبتسم ابتسامة

●

آية بنتى..

فرحة الكون الحقيقى

وطلّة الأزهار

فى بستانى

ونور منور فى الضلام

هى غنوة

للزمان

وأحلى كلمة فوق لسانى

آية بنتى..

●

• ماكنش مجرد طفل •

• إلى روح الطفل الشهيد: محمد الدرّة •

كان ويّا أبوه

وعيونه النونو بتبوس الشمس

وتصبَّح ع الأغصان الخضرة

كان وشه بيضحك

وصوابعه فى صوابع أبوه

ودراعه التانى بيتطوَّح

يحضن ببراءة الأحلام

ويقوله أبوه:

يا «محمد» أنا عايز أجيبلك أحلى هدية

اتمنى عليه..

يضحك ببراءة وسخرية

ويقول: يابه..
أنا عايز شيء أكبر منى
أكبر منك .. أكبر م الأيام
أنا بحلم بيه
من أول ما حَبيت على أرض فلسطين
وترابها عفَّر على وشى
ولمس جسمى
من أول ما بدأت
أشم نسيم الصبح الطازة
وتخش فى نخاشيشى روايحه
وأصافح بعيونى الأقصى
كل صباح
من أول ما بدأت أرسم
بالطباشير
وع الكراريس
النجمة إياها اللى أنا بأكرهها
أم ست سنان

بأحلم بالقدس عربية
ما تعرف جنس يهودى جبان
ويطول العمر..
وأكون ظابط وأحرر بايديا
بلادى
وأحقق ليها الحرية المسلوبة
من عمر الشعب المظلوم

•

وف لحظة..
«والدرة» عمَّال يحلم
وأبوه ويّاه بيشاركه الحلم
انفتحت نار الغدر عليهم
واترصدهم صهيونى عنيد
منزوع من قلبه الرحمة
ماهزه صراخ الطفل
ولا صوت الأب وهو بيترجاه
أمطرهم برصاصه الحى

كان عايز دم الطفل يسيل
رغم إنه فى حضن أبوه
ضربوه برصاصة
دخلت قلبه النونو.. وسكنت فيه
كان قلبه ساعتها بينبض بفلسطين
واتبعتر دمه الطاهر
ع الأسفلت
رسم النجمة اياها
وأبوه اتكوم جنب الحيط
اتخطفت روحه
وقلبه م النبض وقف
وجسمه اتغربل..
من رصاصات الغدر الصهيونى
وكأن الجندى كان حاسس
إن «الدُرَّة» بطل وشجاع
مش بس مجرد طفل بيحلم
لكن كان عارف

إن «الدرة» شايل وطنه
جوه فى قلبه الأخضر
ومخبيه برموشه من الأعداء

●

• حُبك مجننى •

ماتبعديش..

عن ضى عينى «يا منى»

قلبى انتشى منى

وطار عصفور طليق

ف الهوا

عشق الغنا والزقزقة

فبلاش بقى

تُقّل البنات

حبك مجننى

وانتى ما بين الرمش والننى

وهدوئك الشريات

فى منامى بيزورنى
أصحى على سكر نبات
وأبات..
والقلب بيغنى

• مين يقدر •

الولد الوردة ـ

الموت بيشف..

وبيخطف من نن عنينا النور

فنضيع فى الضلمة حزانى

والكلمة المكسورة على طرف

لسان الشاعر

بتضيع فى المعنى

إيه معنى..

إنك بتضيع زييها

مش لاقى ملامح نفسك

صوتك / همسك

هربانة قصيدتك زى خيول مطلوقة

وسيباك..

مطحون فى ملامح بكره الجاى

إزاى هاتكون

يا صحابى الواقفين

على ناصية روحى

بتصحُّوا جروحى

فأموت فى اليوم الواحد

ميت مرة

على فين هانروح

والكلمة الحرة

كرباج على ضهر الواحد فينا

ملدوعة عقارب روحك

مقتولة

مقتولة أيامك/ وسنينك

وضميرك بيغزك

زى الإبرة فى كم قميصك

فتقوم مفزوع

يا صحابى دلونى

أنا عارف لونكم من لونى

إيه معنى الكلمة

إن كات خوافة وجبانة

إن كات مكسوفة من عرى صاحبها

وخجلانة

تصبح دبلانة على عودها

مين يقدر يوعدها

ترَّجع بسمتها الفرحانة

فتعود روحها المنتشية

جريئة وحرة زى ما كات

بتصحِّى الناس من عز النوم.

●

• على فين يا هشام •

• إلى روح الصديق: هشام فاروق عبد الجواد •

بتغيِّم شمسك..
رغم الضى النابع من وشك
كان بيهل..
لما تطُل عنيك
بتنشَّر كل همومك
ع الأصحاب
وتفرَّق بختك..
والحبل بيرقص فى البلكونة
سكوت
الضحك مخاصم فيك شفاتيك
وبتكتم غيظك

فى الأوقات الصعبة

بارود

على فين يا هشام..؟!

خطاويك بتحازى رمل السكة

والأسفلت

مكشوفة لكل الناس

لكن مدارية عليك

وعنيك بتبص على الأفراح

بالشوق

تتمنى تنقرش يوم كفيك

بالحنة

وتخشى الجنة مع الداخلين

على فين يا هشام..؟!

أنا سامعك لسه يا دوبك

بتنادى «حُسام»

وبتخده من ايده ع الأسفلت

للسكة الطارحة حواديت

وحكاوى جديدة
تحكى له عن سر البنت
اللى اديتلك دبلة
وجواب مكتوب بالأخضر
وبينضح قُبله..

●

على فين يا هشام..؟!
دحبيبتك يومها كات على موعد
لابسه الفستان الكرانيش
وبتحلم بالكورنيش
وايديك الدافية
بتنادى على العصافير يا هشام
وبتسقى الطاير والمجروح
من بين كفينها المرمر

●

- إيه سر غيابك قوللى
دانا لابسه التولى

وباستناك

هاتجينى هناك

على أول ناصية فرحى

والطرحة يا دوبك بأغزلها

من خيط الحب الواصل بينا

غيِّبت عَلى ليه يا هشام..؟!

الحِنة نشفت من كفينى

وأنا قلبى حمام

طاير لبلدكم

وبيسأل كل ولادك يا «برنبال»

عن شاب وسيم

تايه في دروبك وشوارعك

بيحب الجميزة والساقية..

والشجر الطارح والصفصاف

والسكة الممدودة

م البيت «للعالى»

فى القمرة الزاهية ولابسة

نهار
والضحك مع الأصحاب بيصهلل
والنكتة هزار

●

وتعبت من المشاوير يا هشام
(كيلوباترا)[1] ما عادت بتشم
روايحك
(وميدان الرمل)[2] بيسأل
عن خطاويك
يا تخدنى معاك.. يأتجينى
أنا هاستناك على أول ناصية
فرحى
والطرحة يادوبك باغزلها
من خيط الحب الواصل بينا

●

---
(١) حى بالإسكندرية.
(٢) ميدان شهير بالإسكندرية.

وقفلت بيبان قلبى
عليك
ماعدتش تساع غير ضى
عنيك
أنا هاستناك.. يا هشام
ولآخر عمرى ما تمس ايديا
غير نبض إيديك.

●

• قصايد حزينة •

• (١)

بتطير عصافيرى تزقزق
يمَّة أفراحى المنسية
ويخاف الليل لو طل
لا الشمس تكون مستنياه
فتنوَّر وشه الكالح
ويضيع فى اليم

•

● (٢)

إمبارح..
طار الفرح الساكت
من عمر قديم
فابتهجت روحى
بحب جديد.

●

● (٣)

مش قبل ماكنت أسافر
كنت أطوى الأيام فى ايديا
وأفردها شعاع
من ضى الروح
يا وجع مجروح..
ليه طعم الأحزان
بيمرر ويزيد
والأيام بتئن
مش يمكن جن

بيحاول يلغى فى ملامحنا
ويشتت أحلامنا
على كل الطرقات
فنموت فى الزحمة
ويموت الحرف الحر
على سن القلم المسنون.

●

● (٤)

مش لازم أبدأ
من ضى عيونك
ولا من طعم شفايفك
أنا هابدأ من ذاتى
لما الذات بتخِفّ
من تقل الحِمل
على كتافى.

●

• (٥)

هايعدى اليوم؟!
- معقولة ..
ونعدى وراه
- إيه يعنى
شايلين العلم المحنى
بينزِّ نزيف الروح
المخزى.

•

• آيـات العشـق •

دغدغنى شوقك ع المدى

تراتيل آيات العشق

ماتشق سدر الكون

وأخرج بحظ الشيطان

ابعتنى للريح المهاجر..

أستجير بوجعى

وأصب خوفى من رحيق الأمنيات

تطرح آهات

مغزولة من جفن السكات

تسبح فى دمى

أغنيات النار..

والذكريات هى ارتباط

وتر القلوب

مغلوب على أمرى

وبيتكسر فى الأنين

•

يا عاشقين..

كل الصبايا اتبعتروا

ولا عاد حنين

مكسوف يا قرص الشمس

من بحّة عنيك الدبلانين

وحريق سواقى الوجد فى ضلوعى

لهب حيران

وأنا يوم طلوعى

كان أخضر

وكان راكب حصان رهوان

يا بلبل الأوطان

أنا ويلى.. ويل

والليل رفيق نهنهات قلبى

ولمين يميل غصن الزتون؟!

ولمين يكون حد السكون؟!

مفطوم بطعم السلسبيل..

فى النيل..

قناديل حروفك مَدّح ف عيون

القمر

ونسيم ربيع بيبوس خدود

تفاح

ارتاح يا قلبى م التعب

وافرد بساطك ع العتب

تقراك حبيبتك..تنقشك

جوه الكتب.

●

• اللصوص بيطفوا لمبات النيون •

الصور متعتمة

والقلب مكسور وشاتت

يا مين يلمنى من بين

ضلوعى المهروسين

أطلع حزين ممصوص

أصل اللصوص بيعدوا

من جوا الفرح

ويطفوا لمبات النيون

زى العيون لما تغيِّم

ويضيع بصيص الضى

أنا حى ميت حى

يا منتهى أملى الضعيف

ليه الخريف فارد شراعه

ع المدى

ومنشفْ الأغصان

ليه الهوى هربان

بنسمته الصافية

ولا السنين جافية

والروح خلاص بتروح

يمّة رماد الطيارات

والزعببات ف أمشير

صواريخ بتطلع فى الفراغ

وتطيش

ترجع مافيش

لكن دانات الفقرا والمحرومين

متكومين فى الخيش

مستنظرين تَكّةْ زناد

مايطيش

والتمثلية الغبية محبوكة ع الآخر
واحنا بندفع من رغيف القوت
ولاد بتموت.

●

أغنية للبساطة

قراءة فى ديوان «الولد الوردة» لعبده الزرّاع

أمجد ريان

الكتابة الشعرية بالعامية المصرية اليوم أصبحت ذات تراث كبير، ومرت بتاريخ طويل من الزجل، ومرورًا بتجارب حداد وجاهين فشعراء الستينيات، فالسبعينيات حتى وصلت اليوم إلى ما يسمى بقصيدة النثر العامية، ودخلت فى المفهوم الجديد للكتابة الذى تندمج فيه الحياة بالفن، والذى يساهم فى التغيير الثقافى على كافة المستويات، باعتبار أن الثقافة ليست مجرد أداة للمعرفة، بل هى فضاء للتفاعل بين البشر وبين بعضهم بعضًا من ناحية، وبين

البـشـر وكافـة الظواهر والأشـيـاء المحـيطة بهم من نـاحيـة ثانيـة، وفـضـاء تتطور فى داخله المراحل المتوالية للمسـيـرة التـاريخـيـة، وتتـغـيـر تغـيـرًا مطَّردًا بما يتناسب ونمو الحـيـاة الآدمية من ناحية ثالثة.

تحمل قصائد هذا الديوان فى طياتها رسالة اجتماعية، مضمونها الانحياز للإنسان البسيط فى أزماته الطاحنة التى يعيشها فى كل يوم، فى قرى صغيرة محاصرة بالأزمة الاقتصادية، وقرى صغيرة أخرى محاصرة بالقوات العسكرية الباطشة.

الكتابة الشعرية اليوم تتميز بملامح جديدة ذات طابع يختلف عمّا عرفناه فى السابق، ومن أهم هذه الملامح: التعدد، بمعنى أن الشعر اليوم يشهد تعددًا من حيث التيارات الشعرية والتوجهات المختلفة، وأنه لم يعد هناك مكان لتيار واحد أو مدرسة واحدة لكى تتسيَّد المشهد الشعرى، لكل مدرسة اليوم مكان مهم، وكل شاعر عليه أن يتعلم كيف يقيم علاقة يشوبها الاحترام المتبادل بين أسلوبه فى الكتابة وأسلوب الآخرين.

أما شاعرنا عبده الزرَّاع فهو يتعمد أن يعود للتبسيط الشديد، والغنائية الرقيقة، ونحن بالفعل نعيش فى زمن مدهش سيفاجئنا كل يوم بانتقالات فنية واندفاعات تعبيرية شديدة التنويع، تعتمد على كافة الاتجاهات والمدارس والرؤى من ناحية وكافة الأساليب التقنوية من ناحية أخرى.

يعبِّر الشاعر عن التفاؤل والحلم بالمستقبل رغم الصعوبات والمعوقات التى تحيط به وبنا فى كل لحظة مورثة كل هذا الحجم من الإحباطات، ولكن الشاعر لا زال قادرًا على العطاء والحلم بالمستقبل: (يمكن أقدر أرسملك أحلى طريق).

لقد جسد الشاعر المعاناة: معاناته ومعاناة الناس من حوله، فصوَّر البشر من حوله تائهين على شاطئ النيل (قصيدة: أغنية نار)، ولسانه يضيع فى المعنى (قصيدة: مين يقدر)، ويقول أيضًا فى القصيدة ذاتها: (مقتولة أيامك، وسنينك)، وفى قصيدة أخرى: (ويموت الحرف على سن القلم المسنون) وتتعدد الأبيات التى نستشعر فيها

معاناة الشاعر بسبب إحساسه بالقهر: (مغلوب على أمرى/ وبيتكسر فىّ الأنين)، ويعبرّ الشاعر فى المقطع التالى عن إحباطاته بشكل رمزى:

مغنواتى أنا

أرغولى انتنى . قصيدة مغنواتى

وفى مقطع آخر من القصيدة نفسها

مغنواتى أنا

ضهرى انحنى

وقصيدة (مغنواتى) كلها، وهى ترمز للشاعر ذاته ورحلته الغنائية تنتهى بالحزن الشديد الذى يقارب اليأس حيث لون السواد (فارد ضلوعه) و (الأمل مكسور جناحه) والليل أخطبوط يتمدد ليغطى كل شىء، على الرغم من نهاية القصيدة التى تحاول جاهدة أن تعود لمعنى الأمل من جديد، وأن تعود للتراث المصرى القديم ولكن المسألة تظل رهينة المحاولة، والمحاولة تكون دائمًا محاطة بكافة الاحتمالات، حيث يكون الفشل هو أحدها بلا شك.

ولعل أحد أسباب الإحباط الشعور بعدم القدرة على التحقق الإنسانى، وعدم القدرة على امتلاك الأشياء والاستمتاع بالحياة، وعدم القدرة على اصطحاب الفتاة الجميلة فالعمر (مخطوف)، والأمل ضائع، والتعطل يصيب الحياة التى يشبهها بالقطار:

وصفير القطر المتعطل

فى محطات الروح

وهناك بشكل عام معنى الانتماء الذى يشكل قيمة أساسية لدى الشاعر فهو يبحث دائمًا عن قيم يؤمن بها وينتمى لها، فهناك أبيات يطرح فيها كيف ينتمى إلى أسرته، وأبيات يطرح فيها كيف تنتمى إليه ابنته، وكيف ينتمى هو إليها فيهدى لها قصيدة (زى أنغام الكمان - إلى آية بنتى.. وردة الروح) وبالإضافة إلى التعبير عن الفرح بابنته، فهو يشرك أمها هذا الفرح ويقاسمها فيه ليصبح للكيان الأسرى مكان مهم فى هذه القصيدة.

وكذلك هناك معنى الانتماء للبسطاء من هذا الوطن، مما يشكل ملمحًا واضحًا فى هذا الديوان بداية من

الصفحة الأولى فيه، صفحة الإهداء: (إلى عمى عبده الزراع عرفانًا.. ومحبة، إلى أبناء قريتى البسطاء برنبال)، وتتكرر فى داخل الديوان المواضع التى يذكر فيها قريته برنبال محبًا مخلصًا، ومتفانيًا فى حبه، يؤيد الشاعر أن ينتمى إلى قريته، إلى المكان الذى نشأ فيه، والمكانية فى الأدب هى التى تثير خيال الطفولة وتذكرنا المواضع التى نشأنا فيها وكانت بداية تعرفنا على الوجود من خلالها، وهذه المواضع هى الرحم الأول الذى لا يفارقنا أبدًا. أو هى الأماكن التى تعطينا الشعور بالألفة فى العلم، أو الوجود فى العالم على نحو أليف being at home in the world فيما يرى «جادامر».

وفى الوقت نفسه يعبر الشاعر عن الانتماء لنماذج إنسانية أصبحت أقرب للرموز الإنسانية والفنية بسبب وفاة أصحابها مثل القصيدة التى رثى فيها الشاعر (إبراهيم غراب)، والقصيدة التى رثى فيها صديقه (هشام فاروق عبد الجواد) وكأن معنى الرثاء سوف يسعفه فى التعبير عن هذا الحس بالانتماء، ويمكننا أن نعمم المسألة

فنقول أنه يبحث عن طعم الحياة ونكهتها من خلال ثنائية الولادة والموت: ولادة كل المعانى الإيجابية فى حياتنا من ناحية، والموت المتمثل فى الموت الحقيقى الفيزيقى والموت الرمزى، والحروب التى صورها وصور معطياتها: الغارات والديناميت والبارود والخنادق وضرب النار.

يبحث الشاعر عن البدايات الأولى، البدايات الطازجة،والولد فى القصيدة الأولى يتهجى الحروف، ويتهجى الملامح، وهناك معنى الطفولة يستشرى فى الديوان كله، وفى القصيدة الأولى سنتعرف على جو المدرسة ومفرداتها: الطباشير والسبورة والشنطة المدرسية... إلخ.

كما يمكننا أن نتابع لدى الشاعر هذا الحس الأيديولوچى الذى يكمن خلف كل هذه البراءة والانتماء والبكارة، والقيم دائمًا يدفعها موقف فكرى وفلسفى قوى، أو قل موقف أيديولوچى عميق يتجسد فى بعض القصائد فى صورة بيان سياسى أحيانًا، مثل القصيدة الأولى التى سمى الديوان باسمها (الولد الوردة) والتى يهديها إلى

أطفال الانتفاضة الفلسطينية، وعلى رأسهم محمد الدرة، ويهاجم فيها العنت الإسرائيلى ووحشيته فى ظل الأحداث الأخيرة فى فلسطين. وكذلك هناك قصيدة (ما كنش مجرد طفل) التى يهديها إلى روح الطفل الشهيد: محمد الدرة، والقصيدة مهمة وبالغة الدلالة لأنها تشير إلى فضح معنى شديد الإيلام هو تعمد العدو الصهيونى قتل الأطفال الصغار الذين شكلوا نسبة كبيرة ومخيفة فى أعداد القتلى الفلسطينيين، كما يمكننا أن نتتبع بعض المعانى ذات البعد الأيديولوچى التى تتضمنها بعض الأبيات بشكل مباشر أو غير مباشر أيضًا:

ويموت الحرف الحر

على سن القلم المسنون

يتعمد الشاعر أن يستخدم الجو الشعبى المصرى الحميم، وأن يطرح المواقف والسلوكيات المصرية، ولا يمكن لدارس هذا الديوان أن ينسى الروح الشعبية البسيطة التى تفيض فى النصوص سواء من خلال التأثر بالحكمة

الشعبية أو المنطوق الشعبى أو الحدوتة أو الرؤية الشعبية بشكل عام.

ونستمع فى القصائد إلى اللهجة الشعبية البسيطة المحببة إلى نفوسنا جميعًا والكلمات التى لا يقولها سوى المصريين بكل ما فيها من رقة وخفة ظل: (السكة الطارحة حواديت ـ إدينى أمارة ـ مين يقدر ـ بيشعوط ـ شيطان من يومه، وقرد بيتنطط تنطيط ـ على مرمى الشوف ـ وفتحت الباب على وسعه ـ طراطيف ـ اتفرفط الرمان ـ أبويا كان فارس وبأسه شديد ـ منديل المحبة ـ نسيم الصبح الطازه ـ ضى عينى ـ وغير هذا الكثير، مما نجده فى كل صفحة من صفحات هذا الديوان).

والرموز والمعانى الشعبية لديه متعددة متداخلة مع نصوصه بشكل تفاعلى حميم، وسوف نجد لديه: «ياسين وبهية» و «أدهم» و«سيف عنتر مرسومًا على الزند» و«الدروب» و«الجميزة» و« الساقية» و«القمرة الزاهية» وكذلك: «الحضرة» و«الدراويش» و«الأوراد» والكلمات الثلاثة الأخيرة تذكرنا بالتصوف بالمعنى الشعبى، وشاعرنا

يكثر منه، للدرجة التى يمكن فيها أن نقرأ عبارة موغلة فى صوفيتها من مثل: (الموت بيشف)، ويمكن أيضًا أن نقرأ مثل هذا المقطع:

عاكف فى محراب السنين

بتدندن اللحظات

من وحى بوحك

وتسود الصفحات

من أمهات القول

قناديل بتجرى فى الضلام

الحالك

كفك مش بيتهجى الطلوع

ولا كانش نجمك مختفى

ويمكننا أيضًا من داخل الجو الشعبى أن نتابع بعض العبارات من مثل:

(ما تصرنيش.. فى منديل المحبة) أو هذا المقطع الذى يضمنه الشاعر بعض معانى الفولكلور الغنائى المصرى:

صوتى القديم مبحوح

وامى وراه بتنوح

وتقول يا ولدى

يا طالع العلوة

هاتلى معاك غنوه

تشفى تداوى الجروح - قصيدة مغنواتى

أما الجو الرومانسى الرقيق فيشيع فى الديوان كله، من خلال هذا الحس الفرح، أو الباحث عن الفرح فى بعض الأحيان: (وعنيك بتبص على الأفراح - قصيدة على فين يا هشام)، ولنطالع هذا المقطع الذى يبحث فيه الشاعر عن المستحيل الجمالى الرومانتيكى، ويبحث عن حالة تبادل المشاعر الحميمة بين المحبين:

وأنا أفرد جناحاتى ع الكون

وأجيبلك من ريش الطواويس

ومن النعام

وأجيبلك أبريق

ورخام واجيبلك من عين السما

نجماية

إدينى أمارة..

وأنا أديلك قلبى

هدية ـ من قصيدة (ادينى أمارة)

ولدى الشاعر قصائد عاطفية رومانسية فى الحب والغزل، مثل قصيدة (حبك مجننى)، وكذلك صور شعرية كثيرة متفجرة بالروح الرومانسية الجميلة (متحزمة نجوم السما بالورد ـ قصيدة مغنواتى)، ولديه معان كثيرة عن الطفولة فى مرة، والحب والعشق فى مرة أخرى:

يا كعبك الداير

وجسمك الرَجْراج

ونهدك الفاير

والشاعر محب للحياة، ويلتقط هذا الحب فى سلوكيات الآخرين، وذلك لأنه هو نفسه ممتلئ به، وفى قصيدته

للشاعر إبراهيم غراب يتذكر كيف كان الأخير يفتح الباب (على وسعه)، (ولا يوم رديته فى وش قصيدة) إنه يعانق الحياة والفن، ويفيض قلبه بالطيبة والعطاء وحب البشر.

وعلى المستوى الفنى يمكننا أن نرصد كيف تعمد الشاعر أن يكون غنائيًا وبسيطًا غاية البساطة، للدرجة التى قد يقف فيها عند بعض المواضع القليلة على الحدود بين الفن وغير الفن، بخاصة أن أعماله السابقة، ودواوينه السابقة، كانت تميل إلى التكثيف الفنى واللغوى والإكثار من المجازات بأنواعها، البساطة هنا نلاحظها فى اللغة الحدّية الواضحة والمعانى شديدة السهولة، والتى نعرفها ونكررها فى حياتنا اليومية، بل وهناك معان أخرى نرددها فى الأغانى الإذاعية المعروفة مثل عنوان قصيدته (حبك مجننى)، وكذلك (إيه سر غيابك قوللى)، (باستناك) ـ من قصيدة(على فين يا هشام)، و (ابتدا المشوار) إلخ..

وهناك خاصية يستطيع القارئ أن يطالعها وهى استخدام «الفاء الاستنتاجية» التى تعطى إحساسًا بالوصول إلى نتيجة تختلف عن المقدمة، اكتشفها الشاعر

فأعجبته فأكثر منها، ونحن لا نعلم هل هى لهجة محلية تخص قريته أم أنها اكتشاف للعبة شعرية خاصة، تخلق نوعًا من المتعة اللغوية؟ وإن كان تكرارها يقلل من قيمة اللعبة بشكل عام (فتعمى عنية/ فيموت م الضحك (قصيدة الولد الوردة) - بتخش الفرحة فى قلبى/ فتبوح الأحلام بالسر (قصيدة: إدينى أمارة) - مشوارى لسه مابتداش/ فبلاش تخوضى التجربة (قصيدة فارس الأحلام) - فاستخبى بالورق منه، فبيترسم برواز (قصيدة: وردك عتيق) - وطار عصفور طليق/ فبلاش بقى تُقّل البنات (قصيدة حبك مجننى) - بتصحواجروجى/ فأموت فى اليوم الواحد ميت مرة (قصيدة: مين يقدر) - وغيرها الكثير).

ولكن هناك مشكلة فى استخدام (كل)، فهى تعرقل الاستخدام اللغوى فى كثير من الأحيان، وتبدو كما لو كانت حشوًا زائدًا: (مجاديف الطيف الهايم ليل/ همومك ع الأصحاب - (قصيدة: على فين يا هشام)

وهناك سلبية أخرى نحب أن نناقش فيها الشاعر لما فيها من أهمية فى عملية التلقى، وهى أن التقفية فى

بعض المواضع كـانت ذات طابع توليدى بالدرجـة الأولى، ويحسن للشـاعـر أن يلاحظ هذه القضيـة ويعمل على تلافيها فى أعماله القادمة: (لابسه الفستان الكرنيش/ وبتحلم بالكورنيش)، (إيه سر غيابك قوللى/ دانا لابسه التوب التوللى) ـ من قصيدة (على فين يا هشام) وذلك لأن الشاعر يعرف جيدًا معنى وقيمة القافية التى تأتى بشكل عفوى صادق وديوانه ملىء بها، وتجربته تمكنت من أن تطرح نماذج عالية من الجودة الفنية.

يكتب الشاعر القصيدة متوسطة الطول وهو الشكل الغنائى التقليدى، ولكنه أيضًا قدم لنا القصيدة القصيرة المكثفة وهى قصيدة أكثر احتشادًا إذا بحثنا عن الجانب الفنى، وهناك قسم فى الديوان أسماه: (قصايد قصيرة) خصصه لهذا النوع، وكذلك قسم آخر أسماه: (قصايد حزينة) وهو مكون من مجموعة من القصائد القصيرة التى يشيع فيها حزن عميق، له طابع خاص يدل على الافتقاد وعدم التحقق الإنسانى، ويعبر عن شجن وجدانى يندرج داخل إطار اجتماعى يختلف عن الحزن الوجودى الذى طرحه من قبل شاعر مثل صلاح عبد الصبور.

والصورة الفنية الجيدة هى أحد مساعى هذا الديوان، وقد تحققت بالفعل فى الديوان من خلال الصورة البلاغية الجزئية فى مرة، والصورة الكلية التى تتحقق فى مشهد كامل مرة أخرى، ولنتابع هذه الصورة الجميلة المتوزعة على مشهد شعرى كامل يوضح لنا كل هذا الابتهاج بابنته وهو ابتهاج سنعيش معه فى القصيدة بكاملها، إلا أن هذا المقطع يكفينا الآن لتبيان كل هذه البراءة وخاصة عندما جاء التعبير العفوى الذى يصفها فيه بأنها (من غير سنان) ليؤكد معنى البراءة بأسلوب طريف وبخاصة أن معنى الأسنان ينطوى فى أعماقه على معنى الشر منذ المراحل البدائية الأولى، حسب (ليفى شتراوس):

ترفع إيديها للسما

وتقول: بااا با

اضحك قوى

من جوه قلبى

وهى تضحك من غير سنان

زى أنغام الكمان

لقد سعى الشاعر فى هذا الديوان فى طريق العمل الشعرى الذى يؤسس للبساطة والدخول المباشر إلى ضمير متلقيه، وحاول فى الوقت نفسه أن يعبر عن مجموعة من المعانى التى تعبر عن انتمائه للبسطاء من هذا الشعب، فكان هذا الجو الشعبى الحبيب إلى النفس، والذى يفيض بالرقة والرومانسية، ويمتلئ فنيًا باللغة البريئة، والصور الجميلة، ومن أجمل المعانى التى تعبر عن رؤية الشاعر مجملة:

هريانه قصيدتك زى خيول مطلوقة

وسيباك..

مطحون فى ملامح بكره الجاى

إزاى هاتكون؟

● الشاعر فى سطور :

- عبده الزرَّاع.

- شاعر وكاتب أطفال.

- عضو اتحاد كتاب مصر.

- مدير تحرير مجلة قطر الندى.

● صدر له للكبار :

١ ـ البندق طاش رشاش على شعرى ـ ابداعات ـ ١٩٩٦.

٢ ـ آخر حكايات سهرانة ـ الجوائز ـ ١٩٩٩.

٣ ـ الراجل اللى بيهذى ـ كتابات جديدة ـ ٢٠٠٣.

● **صدر للأطفال :**

١ ـ رسمنا وردة ـ قصائد ـ كتاب قطر الندى ـ ١٩٩٦ .

٢ ـ أوبريت: أحمد عرابى ـ مجلة أفاق المسرح ـ ٢٠٠٠ .

٣ ـ ليلة مولد النبى ـ مشترك ـ كتاب الهلال للأولاد والبنات ـ ٢٠٠١ .

٤ ـ أراجوز فنان ـ قصائد ـ كتاب قطر الندى ـ ٢٠٠٢ .

٥ ـ العصافير بتحب النور ـ قصائد ـ المركز القومى لثقافة الطفل ـ ٢٠٠٣ .

● **قيد النشر :**

١ ـ ديك الدويكة ـ قصائد للأطفال ـ هيئة الكتاب.

● **له تحت الطبع :**

١ ـ مسرحية : البحث عن أرنوب ـ للأطفال.

٢ ـ مسرحية : القلم المغرور ـ للأطفال.

٣ ـ أوبريت : عيد ميلاد جزرة ـ للأطفال.

الفهرس

الإهـداء ٣
الولـد الوردة ٥
ادينى أمـارة ١١
موسيقى العمر المخطوف ١٧
كلنا أحبابك ٢٥
أغنيـة نار........................ ٣١
مغنواتى ٣٩
قصايد قصيرة ٤٥
وردك عتيق ٥٧
زى أنغام الكمان ٦٣
ماكنش مجرد طفل ٦٩
حـبك مـجننى ٧٧

مين يقدر ٨١
على فين يا هشام ٨٧
قصايد حزينة ٩٥
آيات العشق ١٠٣
اللصوص بيطفوا لمبات النيون ١٠٩
أغنية للبساطة .. قراءة فى الديون . أمجد ريان ١١٥

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٥٨٧٨ / ٢٠٠٤

I.S.B.N. 977 - 01 - 9056 - X